

تأملات شيخ الإسلام ابن تيمية

في

القرآن الكريم

" سورة الدخان "

(44)

رقية محمود الغرايبة

## الفهرس

2	الفهرس
5	مقدمة سورة الدخان
6	الدخان 1-16
13	الدخان 17-33
23	الدخان 34-39

## الفهرس (2)

- 2 \_\_\_\_\_ الفهرس
- 3 \_\_\_\_\_ الفهرس (2)
- 5 \_\_\_\_\_ مقدمة سورة الدخان
- 5 \_\_\_\_\_ التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل

### **الدخان 1-16**

- 6 \_\_\_\_\_ أسماء الحروف (فواتح السور)
- 7 \_\_\_\_\_ نزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره
- 7 \_\_\_\_\_ حقيقة الأمر كله
- 8 \_\_\_\_\_ أحسن الحسنات هو التوحيد
- 9 \_\_\_\_\_ سيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال
- 9 \_\_\_\_\_ ليس من أسماء الله الحسنى أسم يتضمن الشر
- 11 \_\_\_\_\_ إسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة
- 11 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

### **الدخان 17-33**

- 13 \_\_\_\_\_ من آيات الأنبياء نصر أتباعهم وإهلاك أعدائهم
- 14 \_\_\_\_\_ المضاف إلى الله نوعان
- 15 \_\_\_\_\_ " الكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين "
- 16 \_\_\_\_\_ " ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى "
- 18 \_\_\_\_\_ ليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق
- 20 \_\_\_\_\_ لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين
- 21 \_\_\_\_\_ إهلاك الله لعدو موسى
- 21 \_\_\_\_\_ بكاء كل شيء بحسبه
- 21 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

### **الدخان 34-39**

- 23 \_\_\_\_\_ الميزان بالقسط
- 25 \_\_\_\_\_ ليس فى القرآن لفظ الا مقرون بما يبين به المراد

- 25 \_\_\_\_\_ لفظ الذوق يدل على جنس الاحساس
- 26 \_\_\_\_\_ لفظ الذوق مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر
- 27 \_\_\_\_\_ ان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان
- 28 \_\_\_\_\_ القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأداه
- 28 \_\_\_\_\_ اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بيانا للمعاني
- 28 \_\_\_\_\_ دعوة النبي لجميع البرية
- 28 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

## مقدمة سورة الدخان

### التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل

ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته فى الآفاق وفى انفسنا وبما شهد به فى كتابه أن المعاصى سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال وان الطاعة سبب النعمة فاحسان العمل سبب لاحسان الله قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 وقال { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } الشورى 48 وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم فرعون فى الدنيا وأخبر بما يعاقبهم به فى الآخرة ولهذا قال مؤمن آل فرعون { يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } {30} مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } {31} { يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } {32} { يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } {33} { غافر 30-33 } وقال تعالى { كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَى أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } {القلم 33} وقال { سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْتَدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ } {التوبة 101} ولهذا يذكر الله فى عامة سور الانذار ما عاقب به أهل السيئات فى الدين ما أعده لهم فى الآخرة وقد يذكر فى السورة وعد الآخرة فقط اذ عذاب الآخرة أعظم وثوابها أعظم وهى دار القرار وانما يذكر ما يذكره من الثواب والعذاب فى الدنيا تبعا كقوله عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } {العنكبوت 27} وأما ذكره لعقوبة الدنيا والآخرة فى سورة ق ذكر حال المخالفين للرسول وذكر الوعد والوعيد فى الآخرة وكذلك فى سورة القمر ذكر هذا وهذا وكذلك فى آل حم مثل حم غافر والسجدة والزخرف **والدخان** وغير ذلك الى غير ذلك مما لا يحصى فان التوحيد والوعد والوعيد هو أول ما أنزل كما فى صحيح البخارى عن يوسف بن ماهك قال انى عند عائشة أم المؤمنين اذ جاءها عراقى فقال أى الكفن خير قالت ويحك وما يضرك قال يا أم المؤمنين أرىنى مصحفك قال لم قال لعلى أولف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف قالت وما يضرك أياه قرأت قبل إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شئ لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وانى لجارية ألب { بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرٌ } {القمر 46} وما نزلت سورة البقرة و النساء إلا وانا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السور<sup>1</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 141-142 و الاستقامة ج: 2 ص: 239

## الدخان 1-16

{حم} {1} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ {2} إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين {3} فيها يفرق كل أمر حكيم {4} أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين {5} رحمة من ربك إنه هو السميع العليم {6} رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين {7} لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين {8} بل هم في شك يلعبون {9} فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين {10} يغشى الناس هذا عذاب أليم {11} ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون {12} أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين {13} ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون {14} إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون {15} يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون {16}

### أسماء الحروف (فواتح السور)

قال تعالى {حم} {1} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ {2} الدخان 1-2 ليس في القرآن من حروف الهجاء التي هي أسماء الحروف إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفاً وهي نصف أجناس الحروف نصف المجهورة والمهموسة والمستعلية والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف وهو أشرف النصفين والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني التي ليست باسم ولا فعل فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة في القرآن لكن نفس حروف المعجم التي هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن بل قد اجتمعت في آيتين إحداهما في آل عمران والثانية في سورة الفتح {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً} آل عمران 154 الآية و{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ} الفتح 29 الآية<sup>1</sup>

أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس و على هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاماً تاماً من الجمل الإسمية والفعلية و إنما هي أسماء موقوفة و لهذا لم تعرب فإن الأعراب إنما يكون بعد العقد و التركيب و إنما نطق بها موقوفة كما يقال أ ب ت ث و لهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الإسم الذي ينطق به فإنها في النطق أسماء و لهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا ز ا قال نطقتم بالإسم و إنما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ أسماء و في الخط حروف مقطعة ألم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه و سلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول ألم حرف و لكن ألف حرف و لام حرف و ميم حرف و الح لغة الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه يتناول الذي يسميه النحاة أسماً و فعلاً و حرفاً و لهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام إسم و فعل و حرف جاء لمعنى ليس بإسم و لا فعل فإنه لما كان معروفاً من

<sup>1</sup> - مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 448-449

اللغة أن الإسم حرف و الفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف أنه جاء لمعنى ليس بإسم و لا فعل و هذه حروف المعانى التى يتألف منها الكلام و أما حروف الهجاء فتلك إنما تكتب على صورة الحرف المجرد و ينطق بها غير معربة و لا يقال فيها معرب و لا مبنى لأن ذلك إنما يقال في المؤلف فإذا كان على هذا القول كل ما سوى هذه محكم حصل المقصود فإنه ليس المقصود إلا معرفة كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ثم يقال هذه الحروف قد تكلم فى معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معروفا و هي المتشابه كان ما سواها معلوم المعنى و هذا المطلوب و أيضا فإن الله تعالى قال { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ } آل عمران 7 و هذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء و إنما يعدها آيات الكوفيون و سبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه و لكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء<sup>1</sup>

### نزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره

قال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } {3} { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } {4} { أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ } {5} { رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {6} { الدخان 3-6 } قال تعالى { يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } {النحل 2} فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذى هو كلامه وكذلك قوله { تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ } {الفدر 4} يناسب قوله { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } {4} { أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ } {5} { الدخان 4-5 } فهذا شبيهه بقوله { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ } {النحل 102}<sup>2</sup>

### حقيقة الأمر كله

قال تعالى { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ } {7} { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ } {8} { الدخان 7-8 } وذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله و يجعلون عابده عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو دين الله الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو الاسلام العام الذى لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } {النساء 48} وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبي من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وهى رأس الدين وكما قال أمرت أن أقاتل

<sup>1</sup> - مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 420-421 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 411 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص:

الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهى حقيقة الأمر كله كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فأخبر سبحانه أنه يوحى الى كل رسول بنفى الالهوية عما سواه وإثباتها له وحده<sup>1</sup>

## أحسن الحسنات هو التوحيد

قال تعالى { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ } 7 { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ } 8 { الدخان 7-8 } فى الصحيحين عن النبى أنه قال الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله الا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان فذكر أعلا شعب الإيمان وهو قول لا إله الا الله فإنه لا شيء أفضل منها كما فى الموطأ وغيره عن النبى أنه قال أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفى الترمذى وغيره أنه قال من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة وفى الصحيح عنه أنه قال لعمه عند الموت يا عم قل لا إله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقد تظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسنات هو التوحيد كما أن أسوأ السيئات هو الشرك وهو الذنب الذي لا يغفره الله كما قال تعالى { إِنْ لِلَّهِ لَأَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 116 وتلك الحسنات التى لا بد من سعادة صاحبها كما ثبت فى الصحيح عنه حديث الموجبين موجبة السعادة وموجبة الشقاوة فمن مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة وأما من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار وذكر فى الحديث أنها أعلا شعب الايمان وفى الصحيحين عنه أنه قال لو فد عبد القيس أمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتؤدوا خمس المغنم فجعل هذه الأعمال من الإيمان وقد جعلها من الإسلام فى حديث جبرائيل الصحيح لما أتاه فى صورة أعرابي وسأله عن الإيمان فقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره وسأله عن الاسلام فقال أن تشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت وفى حديث فى المسند قال الإسلام علانية والإيمان فى القلب فأصل الإيمان فى القلب وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد وما كان فى القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح واذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب ايمان القلب ومقتضاه وهى تصديق لما فى القلب ودليل عليه وشاهد له وهى شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له لكن ما فى القلب هو الأصل لما على الجوارح كما قال أبو هريرة رضى الله عنه أن القلب ملك والاعضاء جنوده فان طاب الملك طابت جنوده واذا خبت الملك خبت

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 256



جنوده وفي الصحيحين عنه أنه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهي القلب<sup>1</sup>

## سيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال

قال تعالى { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } 9 { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } 10 { يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } 11 { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ } 12 { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ } 13 { ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلَهُمْ مَجْنُونٌ } 14 { إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } 15 { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ } 16 { الدخان 10-16 ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي انفسنا وبما شهد به في كتابه ان المعاصي سبب المصائب فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال وان الطاعة سبب النعمة فاحسان العمل سبب لاحسان الله قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 وقال { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } الشورى 48 وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم فرعون في الدنيا وأخبر بما يعاقبهم به في الآخرة ولهذا قال مؤمن آل فرعون { يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } 30 { مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ } 31 { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } 32 { يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } 33 { غافر 30-33 وقال تعالى { كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } الفلم 33 وقال { سَعَدْبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } التوبة 101 وقال { وَالَّذِينَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 وقال { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } الدخان 10 الى قوله { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ } الدخان 16 ولهذا يذكر الله في عامة سور الانذار ما عاقب به أهل السيئات في الدنيا وما أعده لهم في الآخرة<sup>2</sup>

## ليس من أسماء الله الحسنى أسم يتضمن الشر

قال تعالى { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } 9 { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } 10 { يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } 11 { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ } 12 { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ } 13 { ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلَهُمْ مَجْنُونٌ } 14 { إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } 15 { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ } 16 { الدخان 10-16 قالت طوائف من المسلمين و أهل الكلام و الفقه و غيرهم من الحنفية و الحنبلية و غيرهم و من الكرامية و الصوفية و كثير من المتفلسفة جميع ما يحدثه الله عز وجل في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال الله تعالى { صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 و قال { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } السجدة 7 و الضرر الذي يحصل

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 643-644

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 139 و الاستقامة ج: 2 ص: 236

به حكمة مطلوبة لا يكون شرا مطلقا و إن كان شرا بالنسبة إلى من تضرر به و لهذا لايجيء في كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم إضافة الشر و حده إلى الله بل لا يذكر الشر إلا على أحد و جوه ثلاثة إما أن يدخل في عموم المخلوقات فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة و المشيئة و الخلق و تضمن ما إشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم و إما أن يضاف إلى السبب الفاعل و إما أن يحذف فاعله فالأول كقوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} {الزمر62} و نحو ذلك و من هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع و الضار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه و لا الضار عن قرينه لأن إقترانهما يدل على العموم و كل ما في الوجود من رحمة و نفع و مصلحة فهو من فضله تعالى و ما في الوجود من غير ذلك فهو من عدله فكل نعمة منه فضل و كل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و النهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه و بيده الأخرى القسط يخفض و يرفع فأخبر أن يده اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق و يده الأخرى فيها العدل و الميزان الذى به يخفض و يرفع فحفضه و رفعه من عدله وإحسانه إلى خلقه من فضله و أما حذف الفاعل فمثل قول الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} {الجن10} و قوله تعالى في سورة الفاتحة {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {الفاتحة7} و نحو ذلك وإضافته إلى السبب كقوله {مَنْ شَرَّ مَا خَلَقَ} {الفلق2} و قوله {فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا} {الكهف79} مع قوله {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا} {الكهف82} و قوله تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} {النساء79} و قوله {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} {الأعراف23} و قوله تعالى {أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ فَدَأْتُمْ مَثَلَيْهَا فَلْتُمَّ أُنَى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} {آل عمران165} و أمثال ذلك ولهذا ليس من أسماء الله الحسنى أسم يتضمن الشر و إنما يذكر الشر في مفعولاته كقوله {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {49} {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} {50} الحجر 49-50 و قوله {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} {الأعراف167} و قوله {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {المائدة98} و قوله {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} {12} {إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ} {13} {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} {14} {البروج 12-14} فبين سبحانه أن بطشه شديد و أنه هو الغفور الودود وإسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم و إنما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالى {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} {السجدة22} و قوله {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} {إبراهيم47} و الحديث الذي في عدد الأسماء اللحسنى الذى يذكر فيه المنتقم فذكر في سياقه البر التواب المنتقم العفو الرؤوف ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل هذا ذكره الوليد ابن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذى رواه عن طريق الوليد بن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف فى الأسماء و فى ترتيبها يبين أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم و سائر من روى هذا الحديث عن أبى هريرة ثم عن الأعرج ثم عن أبى الزناد لم يذكروا أعيان الأسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة و تسعين إسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة و هكذا أخرج أهل الصحيح كالبخارى و مسلم و غيرهما و لكن روى عدد الأسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة و رواه ابن ماجه و إسناده ضعيف يعلم أهل الحديث أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم و ليس فى عدد الأسماء الحسنى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذان الحديثان كلاهما مروى من طريق أبى هريرة و هذا مبسوط فى موضعه و المقصود هنا التنبيه على أصول تنفع فى معرفة هذه المسألة

فإن نفوس بني آدم لا يزال يحوك فيها من هذه المسألة أمر عظيم وإذا علم العبد من حيث الجملة أن الله فيما خلقه و ما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علما و إيمانا ظهر له من حكمة الله و رحمته ما يبهر عقله و يبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} فصلت 53 فإنه صلى الله عليه و سلم قال في الحديث الصحيح **الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها** و في الصحيحين عنه أنه قال **إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل منها رحمة و احدة فيها يتراحم الخلق حتى أن الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة و إحتبس عنده تسعا و تسعين رحمة فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك فرحم بها عباده** أو كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم **ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين و غيرهم كأئمة المذاهب الأربعة و غيرهم من السلف و العلماء الذين يثبتون حكمته فلا ينفونها كما نفاها الأشعرية و نحوهم**<sup>1</sup>

### إسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة

قال تعالى { **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ** } 9 { **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** } 10 { **يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** } 11 { **رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** } 12 { **أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ** } 13 { **ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ** } 14 { **إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ** } 15 { **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ** } 16 { **الدخان** 10-16 } و قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعاء الإستفتاح **و الخير بيديك و الشر ليس إليك** و سواء أريد به أنه لا يضاف إليك و لا يتقرب به إليك أو قيل إن الشر إما عدم و إما من لوازم العدم و كلاهما ليس إلى الله فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير و أسماؤه تدل على صفاته و ذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر و إنما وقع الشر في المخلوقات قال تعالى { **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** } 49 { **وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** } 50 { **الحجر** 49-50 } و قال تعالى { **اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } المائدة 98 و قال تعالى { **إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** } الأنعام 165 فجعل المغفرة و الرحمة من معاني أسمائه الحسنى التي يسمى بها نفسه فتكون المغفرة و الرحمة من صفاته و أما العقاب الذي يتصل بالعباد فهو مخلوق له و ذلك هو الأليم فلم يقل و إنني أنا المعذب و لا في أسمائه الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم **إسم المنتقم** و إنما جاء المنتقم في القرآن مقيدا كقوله { **إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ** } السجدة 22 و جاء معناه مضافا إلى الله في قوله { **إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** } إبراهيم 47 و هذه نكرة في سياق الإثبات و النكرة في سياق الإثبات مطلقة ليس فيها عموم على سبيل الجمع و ذلك أن الله سبحانه حكيم رحيم<sup>2</sup>

### لطائف لغوية

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 94- 97

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 94- 95

1- قال تعالى { رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الدخان 6 سميع منزه عن الصم عليم منزه عن الجهل<sup>1</sup>

2- قال تعالى { رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الدخان 6 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

## الدخان 17-33

{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ {17} أَنْ أَدَّوْا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {18} وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ {19}  
وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ {20} وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ {21}  
فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءَ قَوْمٍ مُجْرِمُونَ {22} فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ {23}  
وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ {24} كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَاتٍ وَعُيُونٍ {25}  
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {26} وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَاهِكِينَ {27} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا  
آخَرِينَ {28} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {29} وَلَقَدْ  
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ {30} مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنْ  
الْمُسْرِفِينَ {31} وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {32} وَآتَيْنَاهُمْ مِّنْ  
الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ {33}

## من آيات الأنبياء نصر أتباعهم وإهلاك أعدائهم

أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم فقبل المبعث مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به ومثل الإرهاصات الدالة عليه وأما حين المبعث فظاهر وأما في حياته فمثل نصره وإنجائه وإهلاك أعدائه وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه وإهلاك أعدائه كما قال تعالى {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} غافر 51 فإن قيل ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله أن بني إسرائيل يقتلون النبيين بغير حق وفي أهل الفجور من يؤتاه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على مذنبين كما سلط بخت نصر على بني إسرائيل وكما يسלט كفار المشركين وأهل الكتاب أحيانا على المسلمين قيل أما من قتل من الأنبياء فهم كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد شهيدا قال تعالى {وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} {146} وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} {147} فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {148} آل عمران 146-148 ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيدا في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه قال تعالى {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} آل عمران 169 ولهذا قال تعالى {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ} التوبة 52 أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم الدين الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيدا ومن عاش منهم كان منصورا سعيدا وهذا غاية ما يكون من النصر إذ كان الموت لا بد منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا

الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء بخلاف من هلك من الكفار فإنهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكاً لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين وقيل فيهم **{ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {26} وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ {27} كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ {28} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ {29} الدخان 25-29** وقد أخبر سبحانه أن كثيراً من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وانهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فإذا كان هذا قتلى المؤمنين فما الظن بقتلى الأنبياء ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فإن تابوا انتصروا على الكفار وكانت العقوبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فإن النبي إذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فإذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي وجوداً وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر موجب للعلم بأن المدار علة للدائر وقولنا من غير مزاحمة وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وإظهاره هو بسبب اتباع النبي وانه سبحانه يريد إعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه وأن يجعل لهم السعادة ولمن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خالفه كان شقيماً ومن هذا ظهور بخت نصر على بني إسرائيل فإنه من دلائل نبوة موسى إذ كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما<sup>1</sup>

### المضاف إلى الله نوعان

قال تعالى **{ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ { الدخان 18}** والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عيناً قائمة بنفسها فالأول إضافة صفة كقوله **{ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ { البقرة 255}** فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق والثاني إضافة عين كقوله تعالى **{ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ { الدخان 18}**<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 415

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 156



المضاف الى الله سبحانه في الكتاب والسنة كان منه اضافة المخلوقات كقوله { نَاقَةٌ } لله {هود64} وقوله { أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ } البقرة125 وقوله { رَسُولُ اللَّهِ } الشمس13 و { عِبَادَ اللَّهِ } الدخان18 وقوله { ذُو الْعَرْشِ } غافر15 وقوله { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } البقرة255 فهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في انه مخلوق<sup>1</sup>

والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة كان صفة له وإن كان عينا قائمة بنفسها أو صفة لغيره كالبيت والناقة والعبد والروح كان مخلوقا مملوكا مضافا إلى خالقه ومالكه ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره حتى استحق الإضافة كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم بيت الله وناقة الله وعباد الله كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها روح الله بخلاف الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار فإنها مخلوقة لله ولا تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة كما لا تضاف إليه الجمادات كما تضاف الكعبة ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التي كانت آية من آياته كما قال تعالى { وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب } هود64<sup>2</sup>

## **" الكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين "**

قال لهم موسى { وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } الدخان19 قيل لأبي داود السجستاني ما الشهوة الخفية قال حب الرئاسة وحبك الشيء يعمي ويصم فيبقى حب ذلك يزين له ما يهواه مما فيه علو نفسه ويبغض إليه ضد ذلك حتى يجتمع فيه الاستكبار والإختيال والحسد الذي فيه بغض نعمة الله على عباده لا سيما من مناظره والكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين<sup>3</sup>

قال تعالى { وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ } الدخان21 فأما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع فهو ما كان مأمورا به امر ايجاب او استحباب فأل اول كاعتزال الامور المحرمة ومجانبتها كما قال تعالى { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ } الأنعام68 ومنه قوله تعالى عن الخليل { فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا } مريم49 وقوله عن اهل الكهف { وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُورُوا إِلَى الْكَهْفِ } الكهف16 فان اولئك لم يكونوا في مكان فيه جمعة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي فلهذا أووا الى الكهف وقد قال موسى { وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ } الدخان21 واما اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع وذلك بالزهد فيه فهو مستحب وقد قال طاووس نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه واذا اراد الانسان تحقيق علم او عمل فتخلى في بعض الاماكن مع محافظة على الجمعة والجماعة فهذا حق كما في الصحيحين ان النبي سئل اي الناس افضل قال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها يتتبع الموت مظانه

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 144

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 3 ص: 249

<sup>3</sup>رسالة في التوبة ج: 1 ص: 232-233

ورجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس الامن خير وقوله يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة دليل على ان له مالا يزكيه وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم فقد قال صلوات الله عليه ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة جماعة وقد استحوذ عليهم الشيطان وقال عليكم بالجماعة فانما ياخذ الذئب القاصية من الغنم<sup>1</sup>

## " ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى "

أن المرجئة لما عدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله أخذوا يتكلمون في مسمى الايمان و الإسلام وغيرهما بطرق ابتدعوها مثل أن يقولوا الايمان في اللغة هو التصديق والرسول انما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها فيكون مراده بالايمن التصديق ثم قالوا والتصديق انما يكون بالقلب واللسان أو بالقلب فالأعمال ليست من الإيمان ثم عمدتهم في أن الإيمان هو التصديق قوله { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } يوسف 17 أى بمصدق لنا فيقال لهم اسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر سائر الألفاظ وهو أصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات الى النور ويفرق بين السعداء والأشقياء ومن يوالى ومن يعادى والدين كله تابع لهذا وكل مسلم محتاج الى معرفة ذلك أفيجوز أن يكون الرسول قد أهمل بيان هذا كله ووكله إلى هاتين المقدمتين ومعلوم أن الشاهد الذى استشهدوا به على أن الايمان هو التصديق أنه من القرآن ونقل معنى الإيمان متواتر عن النبى أعظم من تواتر لفظ الكلمة فان الايمان يحتاج الى معرفة جميع الأمة فينقلونه بخلاف كلمة من سورة فأكثر المؤمنين لم يكونوا يحفظون هذه السورة فلا يجوز أن يجعل بيان أصل الدين مبنيا على مثل هذه المقدمات ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا عن صراط الله المستقيم وسلكوا السبل وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ومن الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات فهذا كلام عام مطلق ثم يقال هاتان المقدمتان كلاهما ممنوعة فمن الذى قال أن لفظ الايمان مرادف للفظ التصديق وهب أن المعنى يصح اذا استعمل في هذا الموضع فلم قلت أنه يوجب الترادف ولو قلت ما أنت بمسلم لنا ما أنت بمؤمن لنا صح المعنى لكن لم قلت ان هذا هو المراد بلفظ مؤمن واذا قال الله أقيموا الصلاة ولو قال القائل أتموا الصلاة ولازموا الصلاة التزموا الصلاة افعلوا الصلاة كان المعنى صحيحا لكن لا يدل هذا على معنى أقيموا فكون اللفظ يرادف اللفظ يراد دلالة على ذلك ثم يقال ليس هو مرادفا له وذلك من وجوه أحدها أن يقال للمخبر اذا صدقته صدقه ولا يقال آمنه وأمن به بل يقال آمن له كما قال { فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ } العنكبوت 26 وقال { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ } يونس 83 وقال فرعون { آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ } طه 71 وقالوا لنوح { أَنْوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ } الشعراء 111 وقال تعالى { قُلْ آذَنْ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ } التوبة 61 { فَقَالُوا أَنْوْمُنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } المؤمنون 47 وقال { وَإِنْ لَّمْ تُوْمِنُوا لِي فَاعْتَرِضُوا } الدخان 21 فان قيل فقد يقال ما أنت بمصدق لنا قيل اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه اذا ضعف عمله اما بتأخيره أو بكونه اسم فاعل أو مصدرا أو باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه ويتقيه ثم اذا ذكر باسم الفاعل قيل هو عابد لربه متق لربه خائف لربه وكذلك تقول فلان يرهب الله ثم تقول هو راهب لربه واذا ذكرت الفعل واخرته تقويه باللام كقوله { وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } الأعراف 154 وقد

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 404-405



قال {فَأَيَّيَ فَارُهُبُونَ} النحل 51 فعدها بنفسه وهناك ذكر اللام فان هنا قوله {فَأَيَّيَ} النحل 51 أتم من قوله فلى وقوله هنا لك {لِرَبِّهِمْ} الأعراف 154 أتم من قوله ربهم فان الضمير المنفصل المنصوب أكمل من ضمير الجر بالياء وهناك اسم ظاهر فتقويته باللام أولى وأتم من تجريده ومن هذا قوله {وَأِنَّهُمْ لَنَا لِعَاثُونَ} الشعراء 55 وإنما يقال غظته لا يقال غظت له ومثله كثير فيقول القائل ما أنت بمصدق لنا ادخل فيه اللام لكونه اسم فاعل والا فانما يقال صدقته لا يقال صدقت له ولو ذكروا الفعل لقالوا ما صدقتنا وهذا بخلاف لفظ الايمان فإنه تعدى الى الضمير باللام دائما لا يقال آمنته قط وإنما يقال آمنتم له كما يقال أقررت له فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق مع أن بينهما فرقا الثاني أنه ليس مرادفا للفظ التصديق في المعنى فان كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال كذبت فمن قال السماء فوقنا قيل له صدق كما يقال كذب وأما لفظ الايمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة كقوله طلعت الشمس وغربت أنه يقال آمنه كما يقال صدقناه ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم يقال صدقناهم وما يقال آمننا لهم فان الايمان مشتق من الأمن فانما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر ولهذا لم يوجد قط في القرآن وغيره لفظ أمن له الا في هذا النوع والاثنان اذا اشتركا في معرفة الشيء يقال صدق أحدهما صاحبه ولا يقال أمن له لأنه لم يكن غائبا عنه ائتمنه عليه ولهذا قال {فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ} العنكبوت 26 {أَنْتُمْ لِيَشْرِينَ مِثْلَنَا} المؤمنون 47 {أَمَنْتُمْ لَهُ} طه 71 {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} التوبة 61 فيصدقهم فيما أخبروا به مما غاب عنه وهو مأمون عنده على ذلك فاللفظ متضمن مع التصديق ومعنى الإلتئان والأمانة كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ولهذا قالوا {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} يوسف 17 أى لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن اليه ولو كنا صادقين لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك فلو صدقوا لم يأمن لهم الثالث أن لفظ الايمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق فانه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له صدقت أو كذبت ويقال صدقناه أو كذبناه ولا يقال لكل مخبر آمننا له أو كذبناه ولا يقال أنت مؤمن له أو مكذب له بل المعروف في مقابلة الايمان لفظ الكفر يقال هو مؤمن أو كافر والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم فلما كان الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط علم أن الايمان ليس هو التصديق فقط بل اذا كان الكفر يكون تكديبا ويكون مخالفة ومعادة وامتناعا بلا تكذيب فلا بد أن يكون الايمان تصديقا مع موافقة وموالاتة وانقياد لا يكفى مجرد التصديق فيكون الاسلام جزء مسمى الايمان كما كان الامتناع من الانقياد مع التصديق جزء مسمى الكفر فيجب أن يكون كل مؤمن مسلما منقادا للأمر وهذا هو العمل فان قيل فالرسول فسر الايمان بما يؤمن به قيل فالرسول ذكر ما يؤمن به لم يذكر ما يؤمن له وهو نفسه يجب أن يؤمن به ويؤمن له فالإيمان به من حيث ثبوته غيب عنا أخبرنا به وليس كل غيب آمننا به علينا أن نطيعه وأما ما يجب من الايمان له فهو الذي يوجب طاعته والرسول يجب الايمان به وله فينبغى أن يعرف هذا وأيضا فان طاعته طاعة الله وطاعة الله من تمام الإيمان به الرابع أن من الناس من يقول الايمان اصله في اللغة من الأمن الذي هو ضد الخوف فأمن أى صار داخلا في الأمن وأنشدوا وأما المقدمة الثانية فيقال إنه اذا فرض أنه مرادف للتصديق فقولهم أن التصديق لا يكون الا بالقلب أو اللسان عنه جوابان أحدهما المنع بل الأفعال تسمى تصديقا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العينان تزنيان وزناهما النظر والأذن تزني وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشى والقلب يتمنى ذلك ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وكذلك قال أهل اللغة وطوائف من السلف والخلف قال الجوهرى والصدى مثل الفسيق الدائم التصديق ويكون الذى

يصدق قوله بالعمل وقال الحسن البصرى ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكنه ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال وهذا<sup>1</sup>

## ليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق

قال تعالى { وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزِلُونِ } الدخان 21 فالإيمان فى القلب لا يكون إيماناً بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيماناً بمجرد ظن وهوى بل لا بد فى أصل الإيمان من قول القلب وعمل القلب وليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق كما يظنه طائفة من الناس فإن التصديق يستعمل فى كل خبر فيقال لمن أخبر بالأمر المشهورة مثل الواحد نصف الاثنين والسماء فوق الأرض مجيباً صدقت وصدقنا بذلك ولا يقال آمنا لك ولا آمنا بهذا حتى يكون المخبر به من الأمور الغائبة فيقال للمخبر آمنا له وللمخبر به آمنا به كما قال إخوة يوسف { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا } يوسف 17 أي بمقر لنا ومصديق لنا لأنهم أخبروه عن غائب ومنه قوله تعالى وقوله تعالى { أَنْوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } المؤمنون 47 وقوله تعالى { وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزِلُونِ } الدخان 21 { فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ } يونس 83 أي أقر له وذلك أن الإيفارق التصديق أي لفظاً ومعنى فإنه أيضاً يقال صدقته فيتعدى بنفسه إلى المصدق ولا يقال أمنت إلا من الأمان الذي هو ضد الإخافة بل أمنت له وإذا ساغ أن يقال ما أنت بمصدق فلان كما يقال هل أنت مصدق له لأن الفعل المتعدي بنفسه إذا قدم مفعوله عليه أو كان العامل إسم فاعل ونحوه مما يضعف عن الفعل فقد يعدونه باللام تقوية له كما يقال عرفت هذا وأنا به عارف وضربت هذا وأنا له ضارب وسمعت هذا ورأيت هذا وأنا له سامع وراء كذلك يقال صدقته وأنا له مصدق ولا يقال صدقت له به وهذا خلاف آمن فإنه لا يقال إذا أردت التصديق أمنت كما يقال أقررت له ومنه قوله أمنت له كما يقال أقررت له فهذا فرق فى اللفظ و الفرق الثاني ما تقدم من أن الإيمان لا يستعمل فى جميع الأخبار بل فى الاخبار عن الأمور الغائبة ونحوها مما يدخلها الريب فإذا أقر بها المستمع قيل آمن بخلاف لفظ التصديق فإنه عام متناول لجميع الاخبار وأما المعنى فإن الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قريقر وهو قريب من آمن يأمن لكن الصادق يطمئن إلى خبره والكاذب بخلاف ذلك كما يقال الصدق طمأنينة والكذب ريبة فالمؤمن دخل فى الأمن كما أن المقر دخل فى الإقرار ولفظ الإقرار يتضمن الإلتزام ثم أنه يكون على وجهين أحدهما الاخبار وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما وهذا معنى الإقرار الذي يذكره الفقهاء فى كتاب الإقرار والثاني إنشاء الإلتزام كما فى قوله تعالى { أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا } وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ { آل عمران 81 وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد فإنه سبحانه قال { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي } آل عمران 81 فهذا الإلتزام للإيمان والنصر للرسول وكذلك لفظ الإيمان فيه اخبار وإنشاء وإلتزام بخلاف لفظ التصديق المجرد فمن أخبر

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 288-292

الرجل بخبر لا يتضمن طمأنينة إلى المخبر لا يقال فيه آمن له بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه فإذا تضمن طاعة المستمع لم يكن مؤمناً للمخبر إلا بالالتزام طاعته مع تصديقه بل قد يستعمل لفظ الكفر المقابل للإيمان في نفس الإمتناع عن الطاعة والانقياد فقياس ذلك أن يستعمل لفظ الإيمان كما يستعمل لفظ الإقرار في نفس التزام الطاعة والانقياد فإن الله أمر إبليس بالسجود لآدم فأبى وإستكبر وكان من الكافرين و أيضاً فلفظ التصديق إنما يستعمل في جنس الاخبار فإن التصديق اخبار بصدق المخبر والتكذيب إخبار بكذب المخبر فقد يصدق الرجل الكاذب تارة وقد يكذب الرجل الصادق أخرى فالتصديق والتكذيب نوعان من الخبر وهما خبر عن الخبر فالحقائق الثابتة في نفسها التي قد تعلم بدون خبر لا يكاد يستعمل فيها لفظ التصديق والتكذيب إن لم يقدر مخبر عنها بخلاف الإيمان والإقرار والإنكار والجحود ونحو ذلك فإنه يتناول الحقائق والأخبار عن الحقائق أيضاً وأيضاً فالذوات التي تحب تارة وتبغض أخرى وتوالي تارة وتعادى أخرى وتطوع تارة وتعصى أخرى ويذل لها تارة ويستكبر عنها أخرى تختص هذه المعاني فيها بلفظ الإيمان والكفر ونحو ذلك وأما لفظ التصديق والصدق ونحو ذلك فيتعلق بمتعلقها كالحب والبغض فيقال حب صادق وبغض صادق فكما أن الصدق والكذب في إثبات الحقائق وفيها متعلق بالخبر النافي والمثبت دون الحقيقة ابتداء فكذلك في الحب والبغض ونحو ذلك يتعلق بالحب والبغض دون الحقيقة ابتداء بخلاف لفظ الإيمان والكفر فإنه يتناول الذوات بلا واسطة إقرار أو إنكار أو حب أو بغض أو طمأنينة أو نفور ويشهد لهذا الدعاء المأثور المشهور عند إستلام الحجر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فقال إيماناً بك ولم يقل تصديقاً بك كما قال تصديقاً بكتابك وقال تعالى عن مريم { وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْمُتَّقِينَ } التحريم 12 فجعل التصديق بالكلمات والكتب ومنه الحديث الذي في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيماناً بي وتصديقاً بكلماتي ويروي إيماناً بي وتصديقاً برسلي ويروي لا يخرجه إلا جهاداً في سبيل الله وتصديقاً بكلماته ففي جميع الألفاظ جعل لفظ التصديق بالكلمات والرسول وكذلك قوله في الحديث الذي في الصحيح ذكر النبي منازل عالية في الجنة فقيل له يا رسول الله تلك منازل لا يبلغها إلا الأنبياء فقال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وما يحصى الآن الإستعمال المعروف في كلام السلف صدقت بالله أو فلان يصدق بالله أو صدق بالله ونحو ذلك كما جاء فلان يؤمن بالله وإيماناً بالله ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله ونؤمن بالله وحده ونحو ذلك فإن القرآن والحديث وكلام الخاصة والعامة مملوء من لفظ الإيمان بالله وآمن بالله ونؤمن بالله ويا أيها الذين آمنوا وما أعلم قيل التصديق بالله أو صدقوا بالله أو يا أيها الذي صدق الله ونحو ذلك اللهم إلا أن يكون في ذلك شيء لا يحضرني الساعة وما أظنه ولفظ الإيمان يستعمل في الخبر أيضاً كما يقال { كُلُّ أَمَنٍ بِاللَّهِ } البقرة 285 أي أقر له والرسول يؤمن له من جهة أنه مخبر ويؤمن به من جهة أن رسالته مما أخبر بها كما يؤمن بالله وملائكته وكتبه والإيمان به وهو من هذا الباب يشترك فيه كل ما أخبر به وتارة بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به والأصل في ذلك هو الأخبار بالله وبأسمائه ولهذا كان جحد ما يتعلق بهذا الباب أعظم من جحد غيره وإن كان الرسول أخبر بكليهما ثم مجرد تصديقه في الخبر والعلم بثبوت ما أخبر به إذا لم يكن معه طاعة لأمره لا باطناً ولا ظاهراً ولا محبة لله ولا تعظيم له لم يكن ذلك إيماناً وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى وإستكبر وكان من الكافرين فكفره بالإباء



إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا {الأنبياء90 وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ  
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا {السجدة16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او  
دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع<sup>1</sup>

### إهلاك الله لعدو موسى

قال تعالى { وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِضُونَ {الدخان24 فموسى فلق الله له البحر حتى عبر  
فيه بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله  
لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح<sup>2</sup>

### بكاء كل شيء بحسبه

قال تعالى { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {26} وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَهِينِ {27} كَذَلِكَ  
وَأُورِثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ {28} فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ {29} {الدخان25-29 بكاء كل  
شيء بحسبه قد يكون خشية لله وقد يكون حزنا على فراق المؤمن<sup>3</sup>

### لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ {الدخان17 وفرعون اسم لمن  
يملك مصر من القبط وهو اسم جنس كقيصر وكسري والنجاشي ونحو ذلك<sup>4</sup>

2- قال تعالى { أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {الدخان18 و {فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ  
مُتَّبِعُونَ {الدخان22 ولفظ العبد في القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبد فلا يطلق عليه لفظ  
عبد ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ العبد على المخلوقات كلها<sup>5</sup>

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص:239-240

<sup>2</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 19

<sup>3</sup>رسالة في قنوت الأشياء ج: 1 ص: 37

<sup>4</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 46

<sup>5</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 43

3-قال تعالى { أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } الدخان 18 وقد بين في غير موضع ان السلطان هو الحجة وهو الكتاب المنزل كما قال تعالى { وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } الدخان 19<sup>1</sup>

والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع كقوله { أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } الروم 35 وقوله { مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } الأعراف 71 وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخارى فى صحيحه<sup>2</sup>

4-قال تعالى { مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ } الدخان 31 فالاسراف مجاوزة الحد تعدى الحد ومجاوزة القصد<sup>3</sup>

5- فأخبر أنه يخلق ما يشاء ويختار والإختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل والانتقاء والإصطفاء كما قال وقال تعالى قال تعالى { وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ } 30 { مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ } 31 { وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ } 32 { الدخان 30-32<sup>4</sup>

6-وقد ويراد بالعالمين أهل زمن واحد كما فى قوله { وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ } الدخان 32<sup>5</sup>

<sup>1</sup>الاستقامة ج: 1 ص: 22

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 42 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 316

<sup>3</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

<sup>4</sup>رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 137-138

<sup>5</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

## الدخان 34-39

{ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ {34} إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ {35} فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {36} أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ {37} وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ {38} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {39} إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ {40} يَوْمٌ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ {41} إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {42} إِنْ شَجَرَةَ الزَّقُونِ {43} طَعَامُ الْأَثِيمِ {44} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ {45} كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ {46} خَذُوهُ فَاغْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ {47} ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ {48} ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ {49} إِنْ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ {50} إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ {51} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {52} يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتْقَابِلِينَ {53} كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ {54} يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ {55} لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {56} فَضلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {57} فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ {58} فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ {59}

## الميزان بالقسط

قال تعالى { إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ {34} إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ {35} فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {36} أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ {37} }  
الدخان 34-37 وقد قال سبحانه وتعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ }  
{ الأنبياء 26 } فالإِتخاذ فعل من الأفعال وقد نزه سبحانه نفسه عنه فعلم أن من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه والجبرية عندهم لا ينزه عن فعل من الأفعال وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وصححه وغيره ورواه الحاكم في صحيحه قال فيه فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال لا ظلم عليك إن لك عندنا بطاقة فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فتقلت البطاقة وطاشت السجلات فقوله لا ظلم عليك دليل على أنه إن لم يجاز بتلك الحسنات وتوزن حسناته مع سيئاته كان ذلك ظلما يقدر الله عنه فإنه القائم بالقسط وقد قال تعالى { وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا }  
{ الكهف 49 } فهل يقال هذا النفي أنه لا يفعل مع أحد مالا يمكن ولا يقدر عليه أو لا يظلمهم شيئا من حسناتهم بل يحصيها كلها ويثيبهم عليها فدل على أن العبد يثاب على حسناته ولا ينقص شيئا منها ولا يعاقب إلا على سيئاته وأن عقوبته بغير ذنب ونقص حسناته ظلم ينزه الرب تبارك وتعالى عنه وأيضا فقوله تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 وقال تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا



وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ { ص 28 وقال { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ { الجاثية 21 إلى غير ذلك فدل على أن التسوية بين هذين المختلفين من الحكم السيء الذي ينزه عنه وأن ذلك منكر لا يجوز نسبتبه الى الله تعالى وأن من جوز ذلك فقد جوز منكرا لا يصلح أن يضاف إلى الله تعالى فإن قوله { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ { القلم 35 استفهام إنكار فعلم أن جعل هؤلاء مثل هؤلاء منكر لا يجوز أن يظن بالله أنه يفعله فلو كان هذا وضده بالنسبة إليه سواء جاز أن يفعل هذا وهذا وقوله { سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ { الجاثية 21 دل على أن هذا حكم سيء والحكم السيء هو الظلم الذي لا يجوز فعلم أن الله تعالى منزه عن هذا ومن قاله إنه يسوي بين المختلفين فقد نسب إليه الحكم السيء وكذلك تفضيل أحد المتماثلين بل التسوية بين المتماثلين والتفضيل بين المختلفين هو من العدل والحكم الحسن الذي يوصف به الرب سبحانه وتعالى والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا جعل النور كالظلمة والمحسن كالسيء والمسلم كالمجرم كان هذا ظلما وحكما سيئا يقدس وينزه عنه سبحانه وتعالى وقال تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ { المائدة 50 وعند هؤلاء لو حكم بحكم الجاهلية لكان حسنا وليس في نفس الأمر حكم حسن وحكم غير حسن بل الجميع سواء فكيف يقال مع هذا ومن أحسن من الله حكما فدل هذا النص على أن حكمه حسن لا أحسن منه والحكم الذي يخالفه سيء ليس بحسن وذلك دليل على أن الحسن صفة لحكمه فلو لم يكن الحسن إلا ما تعلق به الأمر أو مالم يبه عنه لم يكن في الكلام فائدة ولم يقسم الحكم إلى حسن وأحسن لأن عندهم يجوز أن يحكم الرب بكل ما يمكن وجوده وذلك كله حسن فليس عندهم حكم ينزه الرب عنه وقال تعالى { وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ { الأنعام 124 فدل على أنه أعلم بالمحل الذي يناسب الرسالة ولو كان الناس مستويين والتخصيص بلا سبب لم يكن لهذا العلم معلوم يختص به محل الرسالة وقال تعالى { وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ { 41 } كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أُخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ { 42 } أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ { 43 } القمر 41- 43 وقال { أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ { الدخان 37 فهذا يبين أن أولئك إذا كانوا كفارا وقد عذبناهم والكفار الذين كذبوا محمد ليسوا خيرا من أولئك بل هم مثلهم استحقوا من العقوبة ما استحقه أولئك ولو كانوا خير منهم لم يستحقوا ذلك فعلم انه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفضل صاحب الخير فلا يسوي بينه وبين من هو دونه وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ { الحشر 2 إلى قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ { الحشر 4 والإعتبار أن يعبر منهم إلى أمثالهم فيعرف أن من فعل كما فعلوا استحق كما استحقوا ولو كان تعالى قد يسوي بين المتماثلين وقد لا يسوي لم يمكن الإعتبار حتى يعلم أن هذا المعين مما يسوى بينه وبين نظيره وحينئذ فلا يمكن الإعتبار إلا بعد معرفة حكم ذلك المعين وحينئذ فلا يحتاج إلى الإعتبار ومن العجب أن أكثر أهل الكلام احتجوا بهذه الآية على القياس وإنما تدل عليه لكون الإعتبار يتضمن التسوية بين المتماثلين فعلم أن الرب يفعل هذا في حكمه فإذا اعتبروا بها في أمره الشرعي لدلالة مطلق الإعتبار على ذلك فهلا استدلوا بها على حكمه الخلفي الكوني في الثواب والعقاب وهو الذي قصد بالآية فدلالته عليه أولى فعلم أن المتماثلين في الذنب متماثلان في استحقاق العقاب بخلاف من لم يشركهما في ذلك وإذا قيل هذا قد علم بخبره قيل هو لم يخبر قبل بهذا بل دل على أن هذا هو حكمه الذي لا يجوز أن يضاف إليه سواء كما دل على ذلك ما تقدم من



الآيات وأيضا فالنصوص قد أخبرت بالميزان بالقسط وأن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لده أجر عظيم فدل هذا على أن مثقال ذرة إذا زيد في السيئات أو نقص من الحسنات كان ظلما ينزه الله عنه ودل على أنه يزن الأعمال بالقسط الذي هو العدل فدل على أن خلاف ذلك ليس قسطا بل ظلم تنزه الله عنه ولو لم يكن هنا عدل لم يحتج إلى الموازنة فإنه إذا كان التعذيب والتنعيم بلا قانون عدلي بل بمحض المشيئة لم يحتج إلى الموازنة وقال تعالى { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ } آل عمران 108 قال الزجاج وغيره قد أعلمنا أنه يعذب من عذبه لاستحقاقه وقال آخر معناه أنه لا يعاقبهم بلا جرم فسمى هذا ظلما<sup>1</sup>

## ليس في القرآن لفظ الا مقرون بما يبين به المراد

وكثيرا ما ياتي المدعى الى الفاظ لها معان معروفة فيدعي استعمالها في غير تلك المعاني بلا حجة ويقول هذا مجاز فهذا لا يقبل ومن قسم الكلام الى حقيقة ومجاز متفقون على ان الاصل في الكلام هو الحقيقة وهذا يراد به شيان يراد به انه اذا عرف معنى اللفظ وقيل هذا الاستعمال مجاز قيل بل الاصل الحقيقة واذا عرف ان اللفظ مدلولان حقيقي ومجازي فالاصل ان يحمل على معناه الحقيقي فيستدل تارة بالمعنى المعروف على دلالة اللفظ عليه وتارة باللفظ المعروف دلالاته على المعنى المدلول عليه فاذا قيل في قوله تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 ان أصل الذوق بالفم قيل ذلك ذوق الطعام فالذوق يكون للطعام ويكون لجنس العذاب كما قال { وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21 وقوله { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 وقوله { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 فقوله { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر 48 صريح في ذوق مس العذاب لا يحتمل ذوق الطعام ثم الجوع والخوف اذا لبس البدن كان اعظم في الألم بخلاف القليل منه فاذا قال { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 فانه لم يكن يدل على لبسه لصحابه واحاطته به فهذه المعاني تدل عليها هذه الالفاظ دون ما اذا قيل جاعت وخافت فانه يدل على جنس لا على عظم كميته وكميته فهذا من كمال البيان والجميع انما استعمل فيه اللفظ في معناه المعروف في اللغة فان قوله ذوق لباس الجوع والخوف ليس هو ذوق الطعام وذوق الجوع ليس هو ذوق لباس الجوع ولهذا كان تحرير هذا الباب هو علم البيان الذي يعرف به الانسان بعض قدر القرآن وليس في القرآن لفظ الا مقرون بما يبين به المراد ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره<sup>2</sup>

## لفظ الذوق يدل على جنس الاحساس

قال تعالى { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان 49 الى قوله تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } الدخان 56 قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل 112 فان من الناس من يقول الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا

<sup>1</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 105-110

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 474

وليس كذلك بل قال الخليل الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك قال تعالى {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} {السجدة 21} وقال {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} {فصلت 50} وقال {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} {الدخان 49} وقال {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} {الطلاق 9} وقال {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} {آل عمران 106} وقال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا وفي بعض الادعية أدقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذلك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم وإذا كان الذوق مستعملاً فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه فالشراب اذا كان بارداً أو حاراً يقال ذقت حره وبرده ولفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالموئل وإذا أضيف الى المذدل على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق قيل لأن الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمال لفظ الذوق في النفي كما قال عن أهل النار {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} {النبأ 24} أى لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى} {الدخان 56} <sup>1</sup>

### لفظ الذوق مستعمل في الاحساس بالملائم والمنافر

قال تعالى {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} {الدخان} ولفظ الذوق وان كان قد يظن انه في الاصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على انه اعم من ذلك مستعمل في الاحساس بالملائم والمنافر كما ان لفظ الاحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن واما في اللغة فأصله الرؤية كما قال {هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ} {مريم 98} و المقصود لفظ الذوق قال تعالى {فَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ} {النحل 112} فجعل الخوف والجوع مذوقاً واذاف اليهما اللباس ليشعر انه ليس الجائع والخائف فشمله واحاط به احاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الالم لا لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى {إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ} {الصفوات 38} وقال تعالى {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} {الدخان 49} وقال تعالى {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} {القمر 48} وقال {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} {24} {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} {25} {النبأ 24} - 25 وقال {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} {السجدة 21} وقد قال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً فاستعمال لفظ الذوق في

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 109-111

ادراك الملائم والمنافر كثير وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلوة الايمان كما تقدم ذكر الحديث<sup>1</sup>

قال تعالى { **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ { الدخان 51** عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقيد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محذور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله { **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ {54}** في مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ {55} القمر 54- 55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله { **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا {2}** وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ {3} الطلاق 2- 3 وقوله { **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ { يوسف 90** وقوله { **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ { النساء 21**

### ان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان

قال تعالى { **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ { الدخان 51** فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الإسلام واخباره أنه دينه الذي ارتضاه وأنه لا يقبل ديناً غيره ومع هذا فما قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله { **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ { التوبة 72** فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد بالعمل الصالح كقوله { **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا { النساء 122** الآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من أتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسم مؤمناً وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان وهذا أيضاً مما استدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله { **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ { الدخان 51** وقوله { **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ { المطففين 22** وباسم أولياء الله كقوله { **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {62}** الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ {63} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {64} يونس 62-64 فلما لم يجر اسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن اسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يثيبه على طاعته مثل أن يكون في قلبه ايمان

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 334-335 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان<sup>1</sup>

## القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأداه

قال تعالى { فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } {58} فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ } {59} الدخان 58 - 59 كما يقول المرسل قد قلت لكم على لسان رسولي فلان كذا وكذا وهذا كما أن القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأداه<sup>2</sup>

## اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بيانا للمعاني

قال تعالى { فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } {58} فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ } {59} الدخان 58 - 59 فهذا يتضمن إنعام الله على عباده لأن اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بيانا للمعاني فنزول الكتاب به أعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره وهو إنما خوطب به أولاً العرب ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم وكان إقامة الحجة به على العرب أولاً والإنعام به عليهم أولاً لمعرفة معانيه قبل أن يعرفه غيرهم قال تعالى { فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } {58} الدخان<sup>3</sup>

## دعوة النبي لجميع البرية

قال تعالى { فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } {58} فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ } {59} الدخان 58-59 أن النبي أنما علق الأحكام بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض فامر بما يحبه الله ودعا إليه بحسب الإمكان ونهى عما يبغضه الله وحسم مادته بحسب الإمكان لم يخص العرب بنوع من أنواع الأحكام الشرعية إذ كانت دعوته لجميع البرية لكن نزل القرآن بلسانهم بل نزل بلسان قريش كما ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود أقرىء الناس بلغة قريش فإن القرآن نزل بلسانهم وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والأنصار إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة هذا الحي من قريش فإن القرآن نزل بلسانهم وهذا لأجل التبليغ لأنه بلغ قومه أولاً ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم وأمره الله بتبليغ قومه أولاً ثم بتبليغ الأقرب فالأقرب إليه كما أمر بجهد الأقرب فالأقرب<sup>4</sup>

## لطائف لغوية

1- قال تعالى { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } الدخان 42

<sup>1</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 348

<sup>2</sup>سؤال عمن يقول إن صفات ج: 1 ص: 159

<sup>3</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 69

<sup>4</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 28

عزيز منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب<sup>1</sup>

2- قال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } الدخان 56 قوله { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ }  
{ الدخان 56 } ثم قال { إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } الدخان 56 الاستثناء منقطع فهذا منقطع لأنه يحسن  
أن يقال لا يذوقون إلا الموتة الأولى<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

<sup>2</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 430 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 192

{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ  
عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ  
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي

{ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

####